

"علم اللغة النفسي لطلبة الجامعات "

إعداد: أستاذ مشارك د. عاصم شحادة علي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

E. Mail: asemali86@hotmail.com

تقديم

يعد علم اللغة النفسي من العلوم المهمة المتصلة باللسانيات التطبيقية؛ حيث أشار كثير من علماء الغرب إلى أن علم اللغة النفسي جزء من اللسانيات التطبيقية الذي يحتاج فيه المتخصصون في فروع المعرفة التطبيقية إلى العلوم الأخرى،¹ فمثلاً يحتاج علماء النفس إلى علوم اللغة لفهم العقل البشري، وهو ومن من مهام علم اللغة النفسي، ويرتبط أيضاً بالعلوم الإنسانية الأخرى، ولعلم اللغة النفسي علاقة وثيقة باللسانيات وعلم اللغة الاجتماعي، من حيث إن اللغة تميز الكائن الحي عن غيره من المخلوقات، ولا بد من الاعتراف أن الحيوان لا يملك لغة، فالنحل والنمل والبيغاء والدولفين والشمبانزي لا تستطيع كلها أن تعبر عن شعورها إلا ضمن إشارات وحركات وأصوات،² لذلك تتميز لغة الإنسان بخصائص أهما وسيلة التواصل وتنقل الخبرات الإنسانية وأساس الحضارة الإنسانية لوظائفها المتعددة. ولأهمية اللغة فقد اهتم بها القدامى، كاهتمام أفلاطون (325 ق. م) باللغة، وأرسطو (322 ق. م) الذي تناول المجاز ورأى اللغة تنقل المعاني للآخر، ويذكر في كتابه (الخطابة) عناصر الاتصال. وما ذكره الفارابي (850هـ) عن تميز الشخص بالقدرة على الفهم والتصور، وأن يكون حسن العبارة للتعبير عن مكنون نفسه، ثم تطورت الدراسات عن اللغة، ودخلت ميدان علم النفس؛ وذلك بالاهتمام بالكلمات والمعنى وحفظ الكلمات وتذكرها، وعلاقة اللغة بالتعلم والذاكرة والتفكير باللغة، لكونها أحد العوامل النفسية التي تدخل في تطور استخدام اللغة لدى الأسوياء والفصامين (المرضى). قد يظن بعض الناس أن اللغة بوصفها موضوعاً قد تحدد في إطار دراسي اللغة، أو أنها تهتم بعلم اللغة، ولأن اللغة تدخل في كل العلوم الإنسانية بوصفها أداة البحث؛ فلذلك تداخلت العلوم الإنسانية ونشأ عن ذلك علوم أخرى كعلم اللغة الاجتماعي، وعلم النفس اللغوي. وكما هو معلوم أمن علم اللغة (اللسانيات) يدرس اللغة بذاتها دون النظر إلى ما يسبقه من إنتاج الكلام أو الكتابة من عمليات ذهنية. ولكون اللغة مظهراً من مظاهر السلوك الإنساني فقد خضعت للدراسة من اللغويين وعلماء النفس على حد سواء، وثمة فرق بين علم اللغة وعالم النفس في النظر إلى اللغة، فعالم اللغة يصف اللغة من حيث السهولة والصعوبة والتركيب والمعجم والدلالة في الكتابة، أما عالم النفس فيهمه أن يعرف اللغة بأنها سلوك خاضع للدراسة، ولذا

¹ انظر: فتوح، محمد، في علم اللغة التطبيقي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1989م، ص 12 - ص 43. وقد أشار إلى تعريفات اللسانيات التطبيقية لدى الغربيين أمثال: أنتوني وكامبل وبالمير وكراشن وباكنهجام وسبولسكي وجومز وكابلان وكوردر وغيرهم.

² انظر: الحمداني، موفق، علم نفس اللغة من منظور لغوي، عمان، دار المسيرة، ط2، 2007م، ص 17؛ إذ أشار إلى أنظمة الاتصال بين الحيوانات والحشرات كالنمل والنحل والحوث الأحذب والدولفين، والبيغاء والشمبانزي.

يهتم بالإدراك واكتساب اللغة، وتعلم اللغة، وتحويل المتحدث الاستجابة إلى رموز لغوية (عقلية). من هنا يمكننا تعريف علم اللغة النفسي³ أو علم النفس اللغوي أو علم نفس اللغة PSYCHOLINGUISTICS بأنه ذلك العلم المتفرع عن اللسانيات التطبيقية الذي يدرس اكتساب اللغة الأولى، وتعلم اللغة الأجنبية، والعوامل النفسية المؤثرة على التعلم، وعيوب النطق، والعلاقة بين النفس البشرية واللغة، والعلاقة بين اللغة التفكير، واللغة والشخصية، ودراسة عيوب الكلام (الحُبْسَة APHASIA، واللَّجَلَجَة STATERRING واللَّعْثَمَة STAMMERING).⁴ ويعبر علم اللغة النفسي عن التفاعل بين اللسانيات وعلم النفس المعرفي COGNITIVE PSYCHOLOGY، حيث الاهتمام باللغة أو اللغة والفكر أو اللغة والمعرفة، واعتبرت العلاقة بينهما حتمية LINGUISTIC DETERMINISM، وهي في طبيعتها تواصلية—وتعد اللغة جزءاً مهماً من المعرفة، وقد اهتم علم اللغة المعرفي باللغة، وهدف إلى تمييز عناصرها وقواعدها وتراكيبها، فتم دراسة النحو، وتجاهلوا نسبياً كيفية فهم اللغة وإنتاجها. وكانت نظرة تشومسكي في فهم العلاقات النحوية وأصبح في إطار علم اللغة النفسي الاهتمام والتركيز على شيوع اللغة بين الأفراد والثقافات، والاصطلاحية والانفتاحية والازدواجية في التشكيل.⁵ ويتفرد علم اللغة النفسي في أنه يفهم الواقع النفسي للغة بوصفها ظاهرة معقدة، ووفي ضوء التراكيب (النحو) والدلالة، وأن اللغة نتاج عمليات نفسية خاصة بالفرد، فنشأ الذكاء الصناعي، وعلم النفس الإدراكي، وعلم النفس العصبي، وعلم اللغة العصبي. وخلاصة ما ذكرناه: إن علم اللغة النفسي يجيب عن التساؤلات الآتية:⁶

أولاً: ما العمليات العقلية التي يستطيع فيها الناس التعبير بها عما يريدونه من قول؟ (إنتاج اللغة)
ثانياً: ما العمليات العقلية التي يستطيع فيها إدراك ما يسمعون وتذكره؟ (إدراك اللغة وفهمها)
ثالثاً: ما الطريق الذي يقوم به الأطفال في تعلم اللغة وفهمها وإنتاجها في المراحل العمرية المبكرة؟

³ انظر: يوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 145، يناير 1990م، ص11؛ وسلامة، سهير محمد، علم نفس اللغة، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2006م، ص46؛ ومنصور، عبد المجيد سيد أحمد، علم اللغة النفسي، الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ط1، 1982م، ص16؛ والحمداني، موفق، علم نفس اللغة من منظور لغوي، ص9؛ والخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، بيروت، مكتبة لبنان، 1982م، ص232؛ وعبد، داود، دراسات في علم اللغة النفسي، الكويت، جامعة الكويت، 1984م، ص9.

⁴ انظر: مذكور، عاطف، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987م، ص59.

⁵ انظر:

Foss, D. J. & Hakes, D. T. 1978. **Psycholinguistics**, New Jersey: Prentice, P. 434.

⁶ انظر:

Clark, H. H. & Clark, E. V. 1977. **Psycholinguistics**; New York. Hare court braces Javanorish, Inc. p.4.

(اكتساب اللغة وتطورها)

أما العلاقة بين علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي فيتمثل في أن الاجتماعيين استفادوا من نتائج البحث اللغوي من جانب أن اللغة من مظاهر السلوك الاجتماعي، ومن سمات الانتماء الاجتماعي للفرد، ومن مظاهر ذلك: أن دراسة الألفاظ ودلالاتها تتم في إطار اجتماعي وحضاري؛ وأن التغير اللغوي لا يفسر إلا في ضوء الظروف الحضارية والاجتماعية؛ وأن المواقف الاجتماعية لها تأثير واسع في مستويات اللغة التي تحدد مسار التغير اللغوي الذي يحدث في المجتمع.

السؤال الذي يطرح دائما لدى الدارسين في الجامعات: ما الموضوعات التي ينبغي على الطالب الجامعي دراستها لفهم علم اللغة النفسي؟ الإجابة تكون كما يأتي:

أولاً: مفهوم علم اللغة النفسي وأهدافه وعلاقته بالعلوم الأخرى.

ثانياً: اكتساب اللغة الثانية واللغة الأجنبية فضلاً عن اللغة الأم.

ثالثاً: علاقة اللغة بالإدراك والتفكير والذكاء والانتباه والتذكر.

رابعاً: العوامل النفسية للتعلم، ونظريات علاقة اللغة بالفكر.

رابعاً: الأسس البيولوجية لاكتساب اللغة، ويتضمن: الجهاز العصبي وعلاقته باضطراب اللغة والكلام، والعلاقة بين المخ البشري والسلوك اللغوي.

خامساً: معالم المدارس اللغوية المعاصرة في علم النفس: (السلوكية، والمعرفية والعقلية)

سادساً: العوامل المؤثرة في النمو اللغوي:

- التداخل اللغوي وأثره في تعلم اللغات.

-العوامل الوراثية والحيوية والعضوية: النضج والعمر الزمني والذكاء والحالة الجسمية والتوأم والولادة المتقاربة.

- العوامل البيئية والاجتماعية: المستوى الاقتصادي وتعدد اللغات والمحيط الأسري والتدريب الخاص، والمستوى التعليمي للأسرة، وعدد الأطفال والعلاقة بين الوالدين.

سابعاً: علم اللغة النفسي من وجهة نظر إسلامية.

في ضوء ذلك سنتناول الدراسة الموضوعات الآتية:

أولاً: اكتساب اللغة الأم واللغة الثانية واللغة الأجنبية

- **اكتساب اللغة الأم:** ويقصد باللغة الأم اللغة الأولى التي اكتسبها الطفل من أسرته وأقاربه كوالديه أو أي شخص بينه وبين الطفل اتصال مباشر، بدءاً من مفردات لغوية تعرضها الأم على طفلها عند شعورها بحاجته إلى شيء ما. وكل طفل في العالم مهما اختلف جنسه يستطيع في أعوام قليلة أن يعبر بلغة محيطه عن أغراضه وحاجاته الصغيرة دون أن يكون للوالدين جهد في هذا الإنجاز، وكل طفل حرم

من السماع يحرم من ثمّ من القدرة على الكلام والتعبير بلغة محيطه للتعبير عن حاجاته، وكل طفل يعاني من الجزء الأيسر من دماغه ينعكس ذلك على قدرته في الكلام، ويحد منها وقد يعطلها في معظم الأوقات، ولهذا نجد أن الأطفال يكتسبون اللغة بطريقة موحدة، ويعتمد اكتساب اللغة على ذواتهم، وأنهم يكتسبون لغة المحيط الذي يعيشون فيه، وأنهم يكتسبون اللغة في ظرف وجيز إذا قارنا ذلك عند تعلمهم مثلاً للحساب.

وقد اختلف النظريات في اكتساب اللغة الأم لدى الطفل في اتجاهات، ومنها:

أولاً- الاتجاه السلوكي BEHAVIORISTIC THEORY : بدأت أفكار بلومفيلد حول اللغة تظهر بشكل واضح عندما تناول في هذا الكتاب تحت باب (اللغة) المنهج القويم في دراسة اللغة، وذلك بالتوجه المباشر تجاه ملاحظة الكلام المعتاد، حيث رفض مبدأ طريقة التناول العقلية أو الذهنية mentalistic واعتقاده بالحتمية deterministic وهو مبدأ القانون العلمي وارتباط العلة بالمعلول، وأن ما يوصف بأنه نتاج العقل الإنساني بما فيها اللغة يمكن تفسيره تفسيراً مرضياً عبر العادات وأنماط المثير والاستجابة. وتنبه بلومفيلد إلى قضية الفونيم الذي عدّه ساير شيئاً متميزاً يعتمد على افتراضات نفسية، وجعل (بلومفيلد) الفونيمات تنتظم في سلسلة الكلام، ويتم تمييزها عبر المقابلة بين العناصر المتماثلة في المورفيمات التي تنتظم فيها، مكونة بذلك العنصر الرئيس في تمييز المعاني الدلالية التي ترتبط فيها الصوت بدلالة لغوية معينة، ينتقل فيها إلى معنى دلالي آخر في تركيب مورفولوجي جديد، وهذا من ثمّ قاده إلى دراسة المكونات المباشرة للجملة، أي معرفة المباني الصرفية للكلمات في الجملة، أي محاولة تحليل الكلمات إلى بنائها. يعرض لنا بلومفيلد قصة جاك Jack وجيل Jill.⁷

ثانياً- النظرية الفطرية NATIVIST THEOR : وهي ترى أن اللغة تنشأ وتتطور لعوامل فطرية تولد مع الإنسان، ومن ذلك ما قال به تشومسكي الذي تأثر بأفكار هاريس، وتزعم نزعة نحو العقلانية ثورة عنيفة على أفكار بلومفيلد في المدرسة السلوكية والمنهج الوصفي القائم على تحليل النصوص على موقع الكلمة في الجملة وعلى التوزيع الفنولوجي والمورفولوجي على المستويات اللغوية الأربع: الصوت والصرف والتركيب والدلالة، وعلى سلوك السامع وتصرفه، فضلاً عن النص ذاته دون الاهتمام بالمتكلم

⁷ انظر تعليقات العلماء المعاصرين حول أفكار بلومفيلد في المراجع الآتية: التوني، مصطفى زكي، المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء المدارس والاتجاهات الحديثة في علم اللغة، جامعة الكويت، الحولية (10)، الرسالة (64)، 1989م، ص20 وما بعدها؛ والراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، وطبعة دار النهضة، بيروت، 1979م، ص37؛ وحسام الدين، زكي كريم، أصول تراثية في علم اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1984م، ص62 وما بعدها؛ ودراج، أحمد عبد العزيز، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، القاهرة، مكتبة الرشد، 2003م، ص101. **Language: Introduction to the study of** Bloomfield, Leonard. 1914.

Language. p.20, 26, 32, 33, 14 0.

أو قدرته في إنتاج الكلام.⁸ وتأثر بالعالم ديكرت الذي رأى أن الإنسان يختلف عن الحيوان اختلافاً جوهرياً، وأنه ليس آلة ولا يخضع للتعبير الآلي، ويمكن تفسير الظواهر الفسيولوجية والميكانيكية، إلا أن هناك عالماً آخر لديه يتمثل في النشاط العقلي الذي يستحيل خضوعه لهذه القوانين، ويركز ديكرت على الفرق بين الإنسان والحيوان في القدرة على اللغة، فالإنسان عنده له قدرة على اللغة، أما الحيوان فعاجز عنها، وكان هذا التقسيم بين الحيوان والإنسان هو الذي أصّل لفكرة الجانب الخلاق في اللغة. وأما العالم هنبولت Wilhem von Humboldt فقد ركز على الجانب الخلاق في اللغة وربطها بالعقل عبر منهج توليدي، وأن اللغة عمل العقل ولذلك ثمة عوامل تكمن تحتها وهو شكل اللغة، أي هناك شكل خارجي للغة (آلي) وشكل داخلي (عضوي)، والشكل الداخلي العضوي هو الأهم لأنه يتطور من الداخل فهو البنية العميقة لما يحدث على السطح؛ ولذلك ركز تشومسكي على الكفاية اللغوية الكفاية اللغوية: Competence، وقد أشار تشومسكي إلى هذا المفهوم وعرفه بأنه: امتلاك المتكلم — السامع Ideal- speaker- hearer القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة وتجمعها في مورفيمات تنتظم في جمل، والقدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد، ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية، يتم التنسيق بينها فيما يسمى (قواعد إنتاج اللغة)، وهذه القوانين والقواعد وتلك القدرة كامنة في الذهن، أما استعمال اللغة فيسمى الأداء.⁹

⁸ انظر: ثيومير، ج، فردريك، أكانت ثمة ثورة تشومسكية في علم اللغة العام، مجلة الثقافة العالمية، العدد 37، السنة السابعة، 1987م، المترجم علي محمد السيد.

⁹ أما مصطلح Competence و Performance فيدل الأول على الكفاية اللغوية أو الكفاءة اللغوية، أو التمكن اللغوي (استخدام عمالية)، إذ عرف تشومسكي المصطلح بأنه امتلاك المتكلم السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل أو عدد غير محدود من الجمل، من عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر تركيبية نحوية. أما المصطلح الثاني فهو الأداء اللغوي الذي هو الجملة المنتجة التي تظهر في فونيمات ومورفيمات منتظمة تخضع لنسق ثابت من القواعد والقوانين اللغوية الكامنة. وقد اختلف المعاصرون في ترجمة Performance، فتارة يطلق عليه ميشال زكريا مصطلح (الأداء الكلامي)، وترجمه كريم زكي حسام الدين بهذا الاسم كذلك، ومال خليل عمارة إلى القول بأن الأداء هو الكلام، أو الجمل المنتجة. انظر: الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، وطبعة دار النهضة، بيروت، 1979م، ص115؛ ودراج، أحمد عبد العزيز، الاتجاهات المعاصرة في تطور العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، القاهرة، 2003م، ص116؛ وعمارة، خليل أحمد، في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق، جدة، عالم المعرفة للنشر، 1883، ص54؛ والسيد، صبري إبراهيم، تشومسكي وفكره اللغوي وآراء النقاد فيه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م، ص367، (معجم المصطلحات الأجنبية)؛ وحسام الدين، كريم زكي، أصول تراثية في علم اللغة، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2000م، ص68؛ وياقوت، أحمد سليمان، في علم اللغة التقابلي: دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989م، ص37؛ وانظر مفهوم المصطلح في:

Huddleston, Rodney, **An Introduction to English: Transformational Syntax**. Longman Group, First Publisher, London, 1976, p. 1; Chomsky, A, N. **Aspects of**

فالكفاية اللغوية هنا هي القدرة اللغوية للفرد التي تكمن وراء كل نشاطاته في تعامله مع اللغة، وبذلك يمكننا القول: إن الكفاية اللغوية هنا تعني اللغة لدى سوسير (la langue) وهي اللغة الواسعة، وهي القدرة الفطرية وتدور حول قدرة السامع — المتكلم على تكوين جمل محددة (finite) وجمل غير محددة (infinite) حسب الموقف اللغوي. وأما الأداء اللغوي Performance، فهو يمثل رد فعل مباشر للكفاية اللغوية، وهو الجملة المنتجة التي تظهر في فونيمات ومورفيمات منتظمة تخضع لنسق ثابت من القواعد والقوانين اللغوية، وهذه القواعد مسؤولة عن تنسيق الفونيمات والمورفيمات الموجودة في التراكيب وترتيبها. لذلك فإن الأداء هو الكلام الذي يقوم به المتكلم لمعرفة كامنة باللغة، وقد لا يحصل بينه وبين الكفاية اللغوية تطابق تام، لذلك يكون ثمة انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل سياقية أو اجتماعية أو نفسية أو غير ذلك من العوامل.

وهكذا سوف يعبر عن هذه الكفاية اللغوية بحدث سطحي يعبر عنه بالجملة أعلاه. وقبل الولوج إلى فرضيات تشومسكي الأخرى والمرتبطة بالكفاية اللغوية والأداء اللغوي، نود أن نذكر أن تشومسكي قد أشار إلى فكرة الفطرية اللغوية، وجعلها حجراً أساسياً يعتمد عليه مبنى الجمل، ورأى أن هذه الفطرية الذهنية تقوم على عدد من الكليات النحوية أو القواعد الكلية Universal Grammars التي تقوم بضبط الجمل المنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة، تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم يختار منها ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه، وهي كلية شمولية عالمية Universal تتساوى لدى بني البشر، وتكون في هذا الإنسان من ولادته ويطلق عليها تشومسكي جهاز اكتساب اللغة Linguistics Acquisition Device، وهي فطرية تولد مع الإنسان ثم يقوم بملئها بالتعابير اللغوية من المجتمع الذي يعيش فيه، فتتضج وتقوى بالتدرج، وكلما اكتسب الإنسان ما يملأ به هذه الكليات الفطرية يزداد النمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية في ذهنه، في جزئية منها، وهي المسؤولة عن بناء الجمل وتراكيبها في لغته، فتكون لديه القدرة على توليد الجمل واتباع القواعد التي يطلق عليها بالقواعد التوليدية Generative Rules.¹⁰

ثالثاً- النظرية التفاعلية: وهي النظرية التي ركزت هلة اكتساب اللغة يتم في الجمع أو التفاعل بين العوامل البيئية والقدرات الفطرية؛ لأنها ترى ليس ناك نظرية شافية لتفسير اكتساب اللغة، فلجؤوا إلى تسميتها بالتفاعلية، ويرى أصحاب هذه المدرسة الاستقلال النسبي للفكر عن اللغة مع تبادل التأثير

.the Theory of Syntax, M. I. T., USA, 1965, p. 4

¹⁰ انظر:

Chomsky ,Abraham, Noam. 1966. **Gartesian Linguistics**, New York, P.19-28;

Kempson, Ruth.. M. 1977. **Semantic Theory**. Cambridge University, Press. 93.

بينها، فاللغة غير الفكر والتحامهما ضروري، ورأى فيجوتسكي Lev. Semenovitch. أن اللغة والتفكير يصدران من جذور مختلفة، ففي البداية يوجد ما يمكن وصفه بأنه " فكر ما قبل اللغة" و " وكلام ما قبل العمليات العقلية"، ويندمج بعد ذلك كل منهما بالآخر تدريجياً كلما اقترب الطفل من مرحلة ما قبل العمليات العقلية، وفي البداية لا تكون عملية اندماج الفكر والكلام تامة ثم يبدأ تدريجياً، وقد صور فيجوتسكي استقلال كل منهما مع حدوث اندماج بسيط بينهما فيما بعد، وعلى ذلك فإن اللغة والفكر لا يتطابقان.¹¹

رابعاً- المدرسة المعرفية: يرى أصحاب هذه المدرسة أن الارتقاء المعرفي هو الذي يبدأ به الطفل عند تعلم اللغة، ثم يتبعه الارتقاء اللغوي، ولذلك يؤثر التفكير على لغة الطفل عبر تفاعله مع الأشياء والواقع والبيئة، ويتأثر نمو الطفل بمستوى النمو المعرفي الذي يصل إليه. ومن علماء النفس المعروفين والمشهورين: جان بياجيه Jan Piaget الذي ربط بياجيه نمو اللغة بالنمو المعرفي، ووجه اهتمامه إلى اللغة بوصفها وسيلة للكشف عن عملية التفكير لدى الطفل، وميز بين نوعين من كلام الطفل، الكلام المركزي للذات والكلام المكيف للمجتمع.

مراحل اكتساب اللغة لدى الطفل

ذهب العالم (جسيرسن) إلى تقسيم النمو اللغوي لدى الطفل إلى ثلاث مراحل، وهي: الصباح VACALISING/CRYING TIME، والبأبة BUBBLING، والكلام، كما يأتي:¹²

1. مرحلة التمهيد: وفي هذه المرحلة يعبر الطفل عن رغباته بالصراخ والبكاء في الشهر الأول من حياته، ويكثر من المناغاة على التلفظ الإرادي لبعض المقاطع الصوتية في الشهر الثاني، بحيث يصدر المناغاة متى سمع صوتاً، وكذلك يبدأ بتقليد الأصوات المسموعة IMITATION، ويستعد لرد بعض

¹¹ Vegotsky, L. Semenovitch.1962. **Thought and Language**, Translated by E. Hauf.

Mann and C. Baker, M. I. T, Cambridge, Mass؛ وانظر: تشيلد، دينيس، علم النفس والمعلم، ترجمة عبد الحليم محمود السيد وزين العابدين درويش، وحسين الدريني، مراجعة عبد العزيز حامد قوصي، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1983م، ص96؛ وتسهم نظرية ثوردنديك بنظرية التعلم بجعله الدافعية وسيلة فاعلة لترسيخ عادات العلم الجيدة عبر المكافآت. وقد وجّه إلى هذه النظرية نقد مفاده أن الكلمة التي يستدعيها معنى الكلمة الأولى لا يفسر لنا مجرى التفكير عندما يكون الفرد بصدد حل مشكلة ما، وقد تكون هذه العلاقة علاقة سببية أو تشابه.

¹² انظر: العاليلي، الشيخ عبدالله، مقدمة لدرس لغة العرب، القاهرة، 1936، ص110، وص130؛ وانظر ما ذكره شاهين، توفيق محمد، أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية، مكتبة وهبة، القاهرة، د. ت، حيث ذكر أصول اللغات في مواقع مختلفة في دراسته؛ وثمة دراسة ميدانية لنمو اللغة عند الطفل من عمر شهرين إلى ست سنوات تناولت الموضوع بتحليل أكبر ونتائج أكثر دقة، وهي لـ: سليمان، أحمد عطية، النمو اللغوي عند الطفل: دراسة تحليلية، القاهرة، طبعة دار النهضة العربية، 1993؛ وخليل، حلمي، اللغة والطفل: دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، بيروت، دار النهضة العربية، 1986م، ص66؛ وعبد الفتاح، نازك إبراهيم، مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي، الرياض، دار الزهراء، ط2، 2007م، ص193 وما بعدها.

الطلبات إذا عرض عليه وإعادة كلمة يلتقطها من الكبار، وفي هذه المرحلة يتم النمو الفنولوجي اللاحق، ويبسط الطفل الكلمات التي يخرجها، ويقوم بتقليد الأصوات التي يسمعها في أواخر السنة الأولى، والإيماءات المبكرة GESTURES التي يقوم بها الطفل.¹³

2. **المرحلة اللغوية الحقيقية:** حيث يبدأ الطفل بتعلم المفردات وبعض الجمل القصيرة من الكبار، ويلجأ إليها عند التعبير عن رغباته، وتزايد ملكاته مع تزايد المفردات هذه، وينتقل إلى تعلم التراكيب بعد هذا، وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل بتعلم المعاني عبر التقليد والتعلم، حيث يكون توافق بين مدركاته الحسية وبين الكلام، وقد قسم العلماء هذه المرحلة إلى مرحلتين، وهما:¹⁴ مرحلة الكلمة الواحدة، ومرحلة الكلمتين، حيث تبدأ الأولى في سن الثانية ويستعمل فيها الطفل كلمة واحدة للدلالة على ما يريد أن يعبر عنه، وهي ذات مقطع واحد، أما مرحلة الكلمتين فتبدأ من سن منتصف السنة الثانية وتستمر حتى الشهر 27 من عمره، وفي هذه المرحلة تكون الأصوات التي يقوم الطفل بنطقها غير صحيحة عند المحاكاة أحياناً، ويغير الطفل الأصوات فيحل صوت محل صوت يكون قريباً منه، مثلاً يقول: تتاب بدلاً من كتاب، وكذا، أو يحرف أصوات الكلمة فيقول: إمسا بدلاً من اسمه وهكذا.

¹³ انظر: الحمداني، موفق، **علم نفس اللغة من منظور لغوي**، ص203؛ إذ أشار إلى أن الطفل في الشهر السادس والعاشر من عمره يطلق مقاطع مكررة قريبة من الكلمة، تسمى المناغاة BABBLING، وهي نوعان، مكررة وغير مكررة، مثل كلمة: ماما ما ما أو بابا بابا، أو دا دا دا، ويميل الأطفال إلى التبسط في الكلام. والمناغاة هي تدريب على السيطرة على مخارج الأصوات، من أجل نطق الكلمات لاحقاً؛ وانظر ما ذكرته: شاس، سهير محمد سلامة، **علم نفس اللغة**، ص71، وقد أشارت إلى التدعيم الذي يقدمه الوالدان أو الكبار في الاستجابة للطفل وإشباع حاجاته في تقليد الأصوات، وبينت الكلمات التي يستخدمها الطفل في العربية عند تشجيعه من الأم أو الأسرة؛ وانظر ما ذكره بعض الباحثين عن تجربة العمليات العقلية التي يقوم بها الأطفال للتمكن من التعامل بلغتهم الأم، وهي تجربة روجر براون وأزولا بيلوقي وفريزي بدراسة موسومة **Three processes in the child's Acquisition of syntax** في كتاب حرره يروان بعنوان **Psycholinguistics** وقام بترجمة المقال بأكبر إدريس الحبر بعنوان: "ثلاث عمليات في اكتساب الطفل لبنية اللغة"، **مجلة اللسان العربي**، مكتب تنسيق التعريب، المغرب، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد (35)، 1991م، ص49 - ص68. وقد تحدثت عن الكلمات التي يتفوه بها الطفل الإنجليزي وعمره ستة أشهر أو الشهر السادس والثلاثين؛ ومقال لوك، جون، "مراحل اكتساب الطفل للغة"، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم، **مجلة الثقافة العالمية**، السنة (12)، نوفمبر، 1995، ص153 - ص169. وقد أشار إلى مراحل اكتساب اللغة لدى الطفل بدءاً من التعلم الصوتي، فالتخزين فالتحليل والحوسبة وأخيراً الدمج والإتقان وهي المرحلة الأخيرة من التطور اللغوي لديهم؛ وابرجير، إمي، **مساعدة النشء المعوقين في اكتساب القدرة على الاتصال ومهارات الكلام**، طبعة اليونيسكو، 1987، ص14- ص15؛ إذ أشار إلى أن الطفل يقوم بتدريب جهازه الصوتي من أجل نطق الكلام؛ والسيد، محمود أحمد، **اللغة: تدريسها واكتسابها**، الرياض، السعودية، دار الفیصل الثقافية، ط1، 1988، ص16.

¹⁴ انظر: شاس، سهير محمد سلامة، **علم نفس اللغة**، ص72 - ص73؛ و **Ilmu**، Slobin, Dan Isaac. 1991. **Psikolinguistik**. E. Penterjemah: Ton Ibrahim. Dewan Bahasa dan Pustaka. Kuala Lumpur. P.79. وقد ذكر سوليبين أمثلة من دراسة Greenfield و Smith عن الكلمات التي يعممها الطفل في هذه المرحلة في الاتصال، فيقول الطفل مثلاً: Ball حيث يقوم الطفل باستخدام هذه الكلمة في جميع الأمور.

تعلم اللغة الثانية والأجنبية

ليس ثمة فرق بين اللغة الثانية واللغة الأجنبية إلا في الرتبة، حيث في اللغة الثانية التي يدرسها الدارسون بعد اللغة الأم، عبر التعليم النظامي، ويتميز تلم اللغة الثانية في أنها يتم تعليمه من المعلم والمدة الحرجة فيها تصل إلى البلوغ، ودارسيها عادة من غير ابناء اللغة، وتتعلم لأغراض خاصة أحيانا، ولا يصل داريوها أحيانا إلى درجة الإتقان وقد تكون الدافعية فيها ضعيفة لدى الدارس، وموادها محدودة، ويواجه دارسيها صعوبات متنوعة ومتفاوتة، ويبدأ تعلمها في مدة المراهقة وأحيانا زمن الطفولة. وبالنسبة إلى نظريات تعلم اللغة الأجنبية فهي عديدة يمكن الرجوع إلى المراجع العربية التي تناولت الموضوع بتوسع.¹⁵

العلاقة بين اللغة والفكر

عرفنا اللغة بأنها تتميز بالطبيعة الصوتية والوظيفة الاجتماعية وتنوع البنية الاجتماعية من مجتمع لآخر، وأداة تواصل بين المتكلم والمتلقي. فالتفكير هو تمثل ذهني وتأمل عقلي يشتمل على المدركات وتناول المعاني بطريقة تتجاوز الحاضر أو الموجود.¹⁶

في ضوء ذلك نجد أن التفكير قسيم اللغة سواء المنطوقة منها أم المكتوبة لأنه بحاجة إلى أداة تعبر عنه وهي اللغة. وقضية العلاقة بين التفكير واللغة شغلت علماء النفس والطبيعة والأنثروبولوجيا والمنطق والفلسفة والرياضيات والفسولوجيا، وقد يدرس المنطق الوظيفة المعرفية للغة ويتناول علم اللغة التراكيب اللغوية ووظائفها، ويقوم علم النفس بتحليل عمليات التفكير وعلاقتها بالآليات اللغوية، ويسعى علم السيرنطقيا إلى نمذجة العمليات التفكيرية — اللغوية في نظام آلي؛ لذلك نجد أن أمر اللغة والتفكير أثار العلماء وجعلهم يتساءلون: هل يمكن أن يكون هناك تفكير بدون لغة؟ وهل يمكن أن تكون هناك لغة دون تفكير؟

وهذه الأسئلة ترتبط بوظائف التفكير ووظائف اللغة، والعلاقة بينهما وبين المعرفة والأشكال غير الكلامية للتواصل، ولذلك نجد العلماء قد تساءلوا كثيرا عن أسئلة تدور حول التفكير دون لغة أو العكس، وهل تنمو مهارات كل من التفكير واللغة بشكل منفصل أم مرتبط بعضها ببعض، وهل يمكن للإنسان التواصل دون التفكير كما هو الحال لدى الحيوانات والطيور وجماعات النمل؟ ومن هنا نجد أن

¹⁵ انظر على سبيل المثال: خرما، نايف، وعلي حجاج، اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمها؛ الخراط، محمد يحيى، اللغة الأجنبية: كيف تتعلمها وتعلمها، جامعة الملك خالد، وغيرها من الكتب التي لا تحصى أحيانا.

¹⁶ للتفكير تعريفات عدة، انظر: حماد، أحمد عبد الرحمن، العلاقة بين اللغة والفكر: دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985م، ص17؛ وشاس، سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص153؛ ويوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص143؛ والخطيب، أحمد شفيق، قراءة في علم اللغة، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2006م، ص9 وما بعدها.

الارتباط بين اللغة والتفكير يأخذ أبعاداً كثيرة وتوجيهات كثيرة ومتباينة، وهي تتمثل بتوجهات أولها أن التفكير يشكل اللغة وأن الكلام سابق على التفكير، أو أن بعض أشكال التفكير لا تتطلب اللغة للتعبير عنها، أو أن اللغة والتفكير متفاعلان.¹⁷ فهذا التوجيه الذي يرى أن اللغة والتفكير متفاعلان يتلخص في أنهما يتفاعلان منذ الصغر، فالكلمة عندهم ليست إشارة تدل على الفكرة ولكنها صانعة للفكرة، فالفكرة تخلق اللغة وتكون غيرها، فمثلاً الإنسان يلاحظ الأشياء والمواقف حوله ويحللها ويفرق بينها ويضع في عين الاعتبار ما بينها من تشابه واختلاف، وبعد ذلك يقسمها ذهنياً إلى اسم أو فعل أو صفة أو ظرف، ويربط الأشياء والأحداث في علاقاتها الزمانية والمكانية. ورأى بعض الغربيين أن الأمور المذكورة آنفاً في العلاقة بين اللغة والتفكير أو الفكر صحيحة.¹⁸

ويمكننا تفسير العلاقة بين اللغة والتفكير ضمن مدارس مختلفة، كما يأتي:

أولاً- المدرسة السلوكية: يرى أصحاب هذه المدرسة أن الفكر ينصهر في اللغة ولا يميزون بين اللغة والفكر، وأن اللغة نخط من أنماط السلوك البشري، وأن التفكير سلوك لغوي أو بنية عميقة، فالعالم جون واطسون John Watson، يرى أن التفكير هو اللغة، وجعل التفكير تناول الكلمات في الذهن، أو هو حديث داخلي يظهر عبر الحركات قبل الصوتية، أو هو حدث دون المستوى الصوتي Sub - vocal Speech، أي لا يسمع من الآخرين، وأن الإنسان عند التفكير يتكلم إلا أن هذا الكلام غير مسموع لأنه كلام داخلي. وأما العالمان وورف وسابير فربطوا اللغة بالتفكير، واللغة عندهما قالب فيه يتم تشكيل عقل الطفل، ولذلك يرى هذا الاتجاه أن اللغة تحدد الفكر وتحدد الإدراك والفهم، ومن هنا

¹⁷ انظر في موضوع اللغة والتفكير: تشيلد، دينيس، علم النفس والمعلم، ص169 وما بعدها؛ ويوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة المرض العقلي، ص143؛ وشاس، سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص155-159؛ وعشوي، مصطفى، مدخل إلى علم النفس المعاصر، مكتبة الجليل، صنعاء، 1991م، ص167؛ والقطامي، يوسف، وعبد الرحمن عدس، علم النفس العام، ط2، دار الفكر، عمان الأردن، 2005م، ص261 (فصل التفكير واللغة)؛ وعلي، نبيل، ونادية حجازي، الفجوة الرقمية: رؤية عربية لجمع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (318)، 2005م، ص305. وقصد بالتفكير شكل اللغة لدى الطفل حيث لا يتكلم الطفل اللغة إلا بعد أن يقوم بتكوين مدركات عقلية حول اللغة سواء بالتقليد أم بالمحاكاة أم بالاستماع، أما الكلام سابق على التفكير فهو من وجهة نظر قائلها بأن المهرم للشخصية تحتل أربعة مستويات أولها التكوين البيولوجي ثم الوجدان ثم التفكير وأخيراً العلاقات الاجتماعية، ولذلك مع بروز الوجدان يعبر الطفل عن الحزن أو الفرح عبر تعبيرات وجدانية، ويتصل بالآخرين عن طريق التعبيرات، ومن ثم تبدأ التراكيب أو القوالب اللغوية ترتبط بمشاعر الطفل ثم تأخذ العقلنة طريقها عن طريق إدراك الطفل لتلك القوالب اللفظية أو التعبيرية؛ وأما الذين قالوا بأن بعض أشكال التفكير لا تتطلب لغة، فمثلاً كتب الموسيقي العالمي (بتهوفن) موسيقاه وهو يفكر في الموسيقي، وعالم الرياضيات كان يفكر بالأرقام والمعادلات وكلاعب الشطرنج أو الرياضي أو الأصم أو المفاهيم الهندسية التي تعبر عن أشياء لا تحتاج إليها اللغة.

¹⁸ انظر:

Mayer, E. M., **Foundation of contemporary Psychology**, (Edl.) Oxford University Press, 1979, p. 389.

قال العالم بافلوف بأن الكلام يؤدي دوراً مهماً في بناء الوظائف العليا، حيث تعد اللغة المنظم الأرقى لسلوك الإنسان، أما بلومفيلد فيرى العادات الكلامية تحدث عندما يتعلم الطفل العلاقة بين المثير الفعلي والاستجابة للغة. ومن الأمثلة التي تبين اختلاف البشر في تصور الأشياء بطرق مختلفة استخدام كلمة: العم والخال وأبناء العم أو العمة أو الخال أو الخالة، حيث نجد ذلك في الإنجليزية كلمة uncle تدل في العربية على أربع كلمات وهي العم والخال وزوج العمة وزوج الخالة أحياناً، أما كلمة aunt فتدل على أربع كلمات أيضاً وهي العمة والخالة وزوجة العم أو زوجة الخال.¹⁹

ثانياً- المدرسة الارتباطية: يأتي على رأس هذه المدرسة العالم إدوارد ثوردنديك Edward Thorndike وقد جعل أصحاب هذه المدرسة العلاقة بين اللغة والتفكير مرتبطة بالتحليل المنطقي،²⁰ بحيث إن المتكلم ينطق كلمة ما، بوصفها منبها لاستحضار كلمة أخرى.

ثالثاً- المدرسة الروسية: يرى أصحاب هذه المدرسة الاستقلال النسبي للفكر عن اللغة مع تبادل التأثير بينها، فاللغة غير الفكر والتحامهما ضروري، ورأى فيجوتسكي Lev. Semenovitch. Vegotsky أن اللغة والتفكير يصدران من جذور مختلفة، ففي البداية يوجد ما يمكن وصفه بأنه "فكر ما قبل اللغة" و"كلام ما قبل العمليات العقلية"، ويندمج بعد ذلك كل منهما بالآخر تدريجياً كلما اقترب الطفل من مرحلة ما قبل العمليات العقلية، وفي البداية لا تكون عملية اندماج الفكر والكلام تامة ثم يبدأ تدريجياً، وقد صور فيجوتسكي استقلال كل منهما مع حدوث اندماج بسيط بينهما فيما بعد، وعلى ذلك فإن اللغة والفكر لا يتطابقان.²¹ أما استدلال فيجوتسكي على عدم تطابق اللغة والتفكير في التفاوت بين اللغة الداخلية واللغة الخارجية، ويقصد بالداخلية الكلمات التي يفكر بها الفرد ولكنه لا ينطق بها، ولا تركيب خاص بها، وتعدّ (مُسَوِّدة ذهنية) تستخدم بدون فاعلية وتتناول موضوعات معروف للفرد وتعد تفكيراً مركزاً بصورة كبيرة، أما اللغة الخارجية فهي لغة ملموسة

¹⁹ انظر حول المدرسة السلوكية وموقفها من العلاقة بين اللغة والتفكير في: ظاظا، حسن، اللسان والإنسان، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص57؛ تشيلد، دينيس، علم النفس والمعلم، ص95؛ وشاس، سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص160؛ وعشوي، مصطفى، مدخل إلى علم النفس المعاصر، ص169؛ والتوني، مصطفى زكي، المدخل السلوكي لدراسة اللغة، ص26؛ ويوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص144.

²⁰ انظر:

Vegotsky, L. Semenovitch, **Thought and Language**, Translated by E. Hauf. Mann and .C. Baker, M. I. T, Cambridge, Mass, 1962

²¹ انظر: دينيس، تشيلد، علم النفس والمعلم، ص96؛ وتسهم نظرية ثوردنديك بنظرية التعلم بجعله الدافعية وسيلة فاعلة لترسيخ عادات العلم الجيدة عبر المكافآت. وقد وجّه إلى هذه النظرية نقد مفاده أن الكلمة التي يستدعيها معنى الكلمة الأولى لا يفسر لنا مجرى التفكير عندما يكون الفرد بصدد حل مشكلة ما، وقد تكون هذه العلاقة علاقة سببية أو تشابه.

وموضوعية تقوم على النطق، وهي لغة للآخرين وليست مقتضبة (قليلة)، ولها معان محددة ومقسمة من حيث التركيب اللغوي لذلك هي مفهومة للآخرين. ويعتقد فيجوتسكي أن التفكير نشاط يعتمد على الكلام الداخلي، والتحدث إلى النفس، والكلام الخارجي (التحدث مع الآخرين)، وهذا التوجه بين اللغة والفكر يساعد على تفسير سرعة استخدام الأطفال المفردات الجديدة في حين يشتد فيه حب الاستطلاع حول الناس والأشياء.²²

وقد أشار أحد الغربيين إلى تعليق فيجوتسكي على عدم التطابق بين اللغة والفكر بالنسبة للطفل، حيث يعجب الطفل بالاستماع إلى كلمات أفراد الأسرة قبل أن يعي معناها، ويشعر بالسرور بإحداث أصوات بسيطة تخلو من المعنى، وحبّ الطفل للحكايات والكلمات وهو لا يفهم معناها، وهو تأكيد على عدم التطابق.²³

رابعاً: المدرسة المعرفية

يرى أصحاب هذه المدرسة أن الارتقاء المعرفي هو الذي يبدأ به الطفل عند تعلم اللغة، ثم يتبعه الارتقاء اللغوي، ولذلك يؤثر التفكير على لغة الطفل عبر تفاعله مع الأشياء والواقع والبيئة، ويتأثر نمو الطفل بمستوى النمو المعرفي الذي يصل إليه. ومن علماء النفس المعروفين والمشهورين:

1- جان بياجيه Jan Piaget: ربط بياجيه نمو اللغة بالنمو المعرفي، ووجه اهتمامه إلى اللغة بوصفها وسيلة للكشف عن عملية التفكير لدى الطفل، وميز بين نوعين من كلام الطفل، الكلام المركزي للذات والكلام المكيف للمجتمع. ومن النتائج التي خرج بها بياجيه في العلاقة بين اللغة والتفكير ما يأتي:

أ) الكلام المتمركز حول الذات Egocentric Speech ويظهر هذا الكلام لدى الطفل عندما يتحدث كما لو كان كل ما يراه ملكه هو، ويبدو غير قادر على فهم وجهة نظر الآخرين، أو أن يدرك الأشياء مكان الوضع المختلف، وفي الثالثة من عمره يكون نصف كلام الطفل تقريباً من النوع المتمركز حول الذات، وينخفض الكلام تقريباً إلى الربع في حوالى السابعة من العمر، وقسم بياجيه الكلام المركزي حول الذات إلى ثلاث قوائم، هي: التكرار والمناجاة الأحادية والمناجاة الثنائية أو الجمعية.

²² انظر:

Simanguntak Mongantar, **Pengantar Psikolinguistik Modern**, Dewan Bahasa dan Pustaka, Kuala Lumpur, 1987, p. 96; Slobin, Dan Isaac, **Ilmu Psikolinguistik**, E., Penterjemah Ton Ibrahim, Dewan Bahasa dan Pustaka. Kuala Lumpur, 1991, p. 77

²³ انظر: سيبيني، سرجيتو، **التربية اللغوية للطفل**، ترجمة: فوزي عيسى، وعبد الفتاح حسن، مراجعة وتقديم كاميليا عبد الفتاح، دار الفكر، القاهرة، 1991م، وقد أشار في صفحات عدة إلى هذا الموضوع.

ب) الكلام الاجتماعي أو المكيف اجتماعياً Socialized Speech، وهو الكلام الذي يوجه إلى مستمع، ويدخل وجهة نظره في عين الاعتبار، ويحاول التأثير عليه أو يتبادل الأفكار معه، وتظهر لدى الطفل الحاجة للتأثير في المستمع أو إخباره بشيء، وغالباً ما يراعي الطفل وجهة نظر الآخرين أو اهتمامهم. وتصل نسبة الكلام الاجتماعي في لغة الطفل في سن السادسة بنسبة 55% وتزيد كلما تقدم الطفل في العمر، وقد صنف بياجيه الكلام المكيف للمجتمع إلى خمس قوائم، وهي: الإخبار والنقد والأوامر والتهديدات والرجاء والأسئلة والأجوبة، وقد أشار بياجيه إلى أن نمو اللغة والتفكير يسيران في مراحل متدرجة، أولها المرحلة الحسية الحركية وثانيها مرحلة ما قبل العمليات والثالثة مرحلة العمليات الحسية والرابعة مرحلة العمليات الشكلية: ففي المرحلة الأولى (السنة الثانية من العمر) يميز نفسه عن الأشياء، وفي المرحلة الثانية (-7 سنوات) يكون لديه القدرة على استخدام الصور الذهنية والرموز، وكلام يتركز حول ذاته، وفي المرحلة الثالثة (7-11 سنة) يكتسب القدرة على القيام بالعمليات المنطقية وتكون مفاهيمه — نوعاً ما — غير ناضجة، ويكون فكرة عامة عن الأشياء، أما المرحلة الرابعة والأخيرة (11 سنة فما فوق) فيفكر فيها بشكل منطقي ويفكر بالمستقبل ويحل المشكلات الطارئة.²⁴

2- جيروم برونر Jerom, S. Bruner: اهتم جيروم بالعلاقة بين اللغة والتفكير عبر اكتشاف الوظائف اللغوية بتكوين المفاهيم لدى الفرد، ورأى أن تطور التمثيل تتفق مع مراحل نمو اللغة، وذلك كما يأتي:

أ) مرحلة الحدوث الفعلي the inactive stage

ب) المرحلة التصويرية التقليدية The iconic stage

²⁴ انظر ما ذكرناه حول بياجيه في: يوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص145؛ وتوما سيللو، ميشيل، الثقافة والمعرفة البشرية، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (328)، 2006م، ص117 (باب الأسس المعرفية الاجتماعية) = لاكتساب اللغة. وشاس، سهير محمد، علم نفس اللغة، ص166؛ وتشيلد، دينيس، علم النفس والمعلم، ص180؛ و Simanguntak Mmongantar, **Pengantar Psikolinguistik Modern**, 1987, p. 97.. ضرب بياجيه مثلاً لمقطع من حديث أو ثرثرة مسجلة على مسجل لطفلة واسمها (جين) Jane، وعمرها سنتان ونصف، وسجل الثرثرة وهي بمفردها في حجرة نومها، حيث أراد بيان ملامح اللغة للأطفال، وكانت الطفلة تنظر إلى الخارج عبر نافذة، ورأت كلباً لأحد الجيران يدعى (راجا)، وبعد قليل من الثرثرة حول زيارة منزل (راجا)، استمرت في الكلام مع لعبة (دُب)، وتحدثت عن الظروف التي تستطيع فيها والدتها أن تسمعها: "انظري ماذا يعمل هذا الرجل. تستطيعين أن تري؟ انظري إنه يحفر الأرض ويرفعها لأعلى، هل تستطيعين رؤيته؟ يجب أن نسأل ماما، إذا كنا نستطيع نذهب لبيت ماما (راجا)، لا أستطيع أفتح هذا القفل، والأفضل أن نسأل ماما: هل يمكن أن نخرج حول التجديف إلى بيت (راجا)، وعلينا أن نحاول فتحه، هل نستطيع أن نذهب إلى بيت ماما (راجا)؟ ... تردد في الكلام: لا، اذهبي إلى السرير. جين ذهبت إلى السرير يا ماما. لا، أنا جيدة وسعيدة الآن، ماما، أنا جيدة وسعيدة الآن، هذا الجراب القصير لا ينفع لي أحسن إن كان ينفع للـدُبّ اللعبة". وقد حلل بياجيه كلام (جين) ورأى أن الفقرة الأولى تتسم بنوع من الكلام الاجتماعي، حيث كانت (جين) تكرر عبارات المهمة والمناجاة، لذلك كان الكلام حول الذات هو المتمركز حولها والكلام الاجتماعي.

ج) المرحلة الرمزية The symbolic stage

د) مرحلة تكوين المعاني The meaning stage

ويقصد بمرحلة الحدوث الفعلي التكوين المبكر للمعرفة فجأة، ويتوقف على إدراك الطفل للمثيرات السمعية والبصرية، وذلك عبر العمل لا الكلام wordless، فمثلاً الطفل يعرف الملعقة التي يأكل بها والكرسي الذي يجلس عليه، والكتابة بالقلم وهكذا تكون لديه مهارات تعتمد على التعود ليس غير. أما المرحلة التصويرية فتحل فيها الصورة محل الشيء الفعلي، حيث يبدأ الطفل في هذه المرحلة تصنيف الأشياء على أساس سمات معينة ثابتة، مثلاً يستحضر صوت ماكينة السيارة عبر الأصوات التي سمعها من قبل فيعرف أن الصوت للماكينة التي تحرك السيارة. وفي المرحلة الرمزية في الرابعة من عمر الطفل يستطيع أن يترجم خبرته إلى شكل لغة، فيعبر عن الأشياء بالكلمات، ويتطلب ذلك تعويد الطفل على الكلام والتعبير عن نفسه كأنه يقوم بالأفعال تماماً.

والمرحلة الأخيرة للنمو اللغوي لدى الطفل يبدأ بتكوين المعاني عبر الإدراك الحسي، حيث يتعرف على الأشياء ويدركها، فيربط بين الشيء والكلمة التي ترمز إليه، وبعد ذلك يقوم الطفل بالتعميم فيطبق المعاني على أكبر قدر ممكن من الأشياء، فيطلق مثلاً كلمة ماما على كل امرأة، وكلمة مثلاً (kakak) باللغة الملايوية على كل بنت أكبر منه، وهكذا في سائر اللغات.²⁵

العوامل المؤثرة في النمو اللغوي

يتأثر النمو بشكل عام بمجموعة من العوامل الذاتية والبيئية، أما النمو اللغوي فيتأثر بعوامل مختلفة لها علاقة مباشرة بالتكوين النفسي والعضوي للفرد، وبالبيئة التي يعيشها الطفل. ويمكن تصنيف هذه العوامل إلى مايلي:

أولاً- العوامل الوراثية والحيوية العضوية،²⁶ وهي: النضج والعمر الزمني، والذكاء، والحالة الجسمية،

²⁵ انظر: الزراد، فيصل محمد خير، اللغة واضطرابات النطق والكلام، الرياض، دار المريخ، 1990م؛ وقناوى، هدى محمد، الطفل وألعاب الروضة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.؛ وشاس، سهير محمد، علم نفس اللغة؛ حيث ذكر الباحثون الثلاثة تصورات (جيروم برونر) بهذه التفاصيل ولكن بتعابير مختلفة نوعاً ما.

²⁶ تبدأ حياة لفرد بالتخاذه خلية CELL الوالدين، من الحيوان المنوي SPERM للذكور والبويضة OVUM للأنتى، وتحتوي البويضة المخصبة على مئات الجزيئات الدقيقة جداً، وتسمى الموروثات GENE وهي تنقل إلى الطفل الصفات الوراثية من الأب والأم والأجداد اللذين سبقوهم، وتتجمع هذه الموروثات في مناطق على الكروموسومات CHROMOSOME، ويطلق عليها الصبغات؛ لأنه لا يمكن رؤيتها تحت المجهر إذا لونت. وتحتوي البويضة المخصبة على 46 كروموسوماً، وتنقسم البويضة المخصبة انقساماً ذاتياً حتى تنتج آلاف الخلايا، وبالتدرج تبدأ الخلايا الناتجة في القيام بوظائف معينة بداية من الأجهزة العصبية والعضلية، ويبدأ الجنين في التخلق حتى يصبح إنساناً كاملاً. وكل طفل يرث من والديه الصفات الكثيرة، ولذلك نجد أن العامل الوراثي له تأثير حسب طبيعة الوالدين، والمهارات اللغوية التي يملكها أحدهما يمكنها أن تنتقل إلى الطفل لأنه ورثها عن أحدهما. أما العوامل الحيوية فيقصد بها تأثير الكائن الحي بالظروف المحيطة به، وعلاقة ذلك بالنمو اللغوي يكون بكثرة معاملة الإنسان مع أخيه الإنسان يجعل النمو اللغوي لديه أسرع، وكذلك الحال بالنسبة إلى العوامل العضوية من حيث تقسيم الدماغ إلى

وجنس الطفل، والتوأم، والولادة المتقاربة. أما تفاصيل ذلك ففيما يأتي:

- **النضج والعمر الزمني:** وهو يتعلق بقضية أن اكتساب اللغة يتطلب الوصول إلى نضج معين يستطيع الكائن البشري فيه الكلام، فكلما تقدم الطفل في العمر، ازداد محصوله اللغوي، وهذا يوضح أهمية العلاقة بين المرحلة العمرية والنضج بوصفها عوامل مؤثرة في النمو اللغوي، ولا سيما نضج الجهاز الكلامي والنضج العقلي وما يترتب عليه من اكتساب الخبرات في مواقف التعلم. وعند النظر في النمو اللغوي لدى الأطفال وعلاقته بالمرحلة العمرية من 8 شهور إلى 6 سنوات تقريبا، نجد أثر ذلك في النضج والمرحلة العمرية على نمو اللغة واكتسابها، وقد أشارت دراسة لأحد الغربيين وهو العالم سميث SMITH إلى العلاقة الارتباطية بين العمر وعدد الكلمات، حيث بينت أن الطفل في عمر الثالثة يتوقع أن يأتي بمستوى من النمو اللغوي يزيد عن قرينه في عمر الثانية.²⁷
- **الذكاء:** وهو تجمع القدرة العقلية والحكم والحس العقلي، والتطيف مع الظروف، أو القدرة على التفكير المجرد.²⁸ فالذكاء يركز إلى مدى قدرة الفرد على التعلم عبر حل المشكلات والتجديد والإبداع والابتكار. وهناك علاقة بين الذكاء والقدرة اللغوية تظهر في جوانب عدة، منها: بدء الكلام، ولذلك فإن ضعف العقول يبدوون الكلام متأخرين عن العادين، والعاديون يتأخرون في ذلك عن الأذكاء، إذ يرتبط التأخر اللغوي الحاد ارتباطا كبيرا بالضعف العقلي. ولا يعني هذا أن كل طفل يتأخر في الكلام لا بد أن يكون ضعيف العقل أو غبيا مثلا، لأن هناك عوامل أخرى

أجزاء كثيرة، فهناك جزء مسؤول عن اللغة، وجزء مسؤول عن القدرة الحسابية والتحليل وإنتاج اللغة والترجمة والشعر والرسم، وهذه العوامل تساعد الناس وتشجعهم على النمو اللغوي السريع. انظر في هذه المفاهيم:

Jonson, M. A. & Medinnuse, B. 1974. **Child Psychology Behavior and Development**. New York: John Wiley & Sons; Brown, R. 1973. **A first Language: the early Stages**. Cambridge, Mass: Harvard University Press. وما ذكرته شاس، سهير محمد، علم نفس اللغة، ص95 وما بعدها.

²⁷ انظر: شاس، سهير محمد، علم نفس اللغة، ص80؛ ومنصور، عبد المجيد، علم اللغة النفسي، ص176؛ وريشيل، مارك، اكتساب اللغة، ترجمة: كمال بكداش، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1984، ص70؛ و

Smith, M. HF. 1926. **An Investigation of the development of the sentence and the extent of vocabulary in Yong children**, p26.

²⁸ انظر: عشوي، مصطفى، مدخل إلى علم النفس المعاصر، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط1، 1991، ص185، وقد ذكر تعريفات الذكاء لدى كثير من الغربيين مثل شترن وبينيه وفكسلر وثوردنبايك، وذكر ما أشار إليه ابن الجوزي في كتابه (الأذكاء) إلى تعريف الذكاء؛ ومنصور، عبد المجيد، علم اللغة النفسي، ص105؛ وكرم الدين، ليلي أحمد، اللغة عند الطفل: تطورها ومشكلاتها، القاهرة، دار النهضة المصرية، د. ت، ص29.

تتداخل في التأخر اللغوي. ويلاحظ أن الطفل ذو العقلية الممتازة له ميراث يتصل بقدرته على الملاحظة وإدراك العلاقات، وفهم المعنى وإدراك المعاني المختلفة، وهذه كلها تساعد على النمو اللغوي.

- **الحالة الجسمية:** ثمة علاقة بين نشاط الطفل ونموه اللغوي، فكلما كان الطفل سليماً من الناحية الجسمية كان أكثر نشاطاً، ومن ثم يكون أكثر قدرة على اكتساب اللغة؛ حيث أشار الباحثون إلى أن الغذاء الجيد والإفراز الغدي والجهاز العصبي والجهاز الحسي وسلامة الجيوب الأنفية كلها عوامل مؤثرة في النمو اللغوي لدى الطفل، وكذلك فإن أمراض الكلام لها أثر في النمو اللغوي كالحبسة واللججة والتأتأة وغيرها، وكذلك العاهات الحسية لها تأثير في النمو اللغوي، فمثلاً العمى عامل مؤثر في النمو اللغوي لدى الطفل من حيث إن لغة الأعمى أو الأصم تختلف عن الإنسان العادي، فيميل الأعمى إلى الأسئلة الكثيرة، أما الأصم فلغته قصيرة. وقد ذكرت الدراسات أن مرض الطفل الشديد في عمر سنتين يؤخر بداية كلامه واستعماله للجمل، وتكون دوافعه قليلة.²⁹

- **جنس الطفل:** تشير الدراسات إلى أن بدء الكلام والنمو اللغوي، واستخدام الجمل في الكلام وتعقيدها، والقدرة على الكلام المفهوم يكون أسرع لدى البنات في مرحلة الطفولة، حيث تتفوق البنات في الطلاقة اللغوية وصياغة الكلمات والجمل والقواعد، وتبدأ هذه السرعة في التلاشي عند اقتراب الطفلة إلى السنة السادسة تقريباً من العمر، وتنتهي بعد السابعة، وأشارت بعض الدراسات إلى أن عيوب النطق تكون لدى الأطفال الذكر أكثر منها لدى البنات.³⁰

- **التوأم:** النمو اللغوي بين الأشقاء التوأم مقارنة بالعاديين يكون أبطأ؛ لأنهما يعتبران من النوع نفسه، ويقلدان بعضهما بعضاً، بينما نجد أن النمو اللغوي بين الأخوة المتتابعين في النمو يكون أسرع، ولذلك وجد أن التوأم ليس لدهما دافع قوي للتعلم أو الاستجابة الكلامية، ولهذا يتأخر لدهما النمو اللغوي عبر سنوات ما قبل المدرسة، ووجد أنه كلما وصل عدد التوأم ثلاثة فأكثر زاد تأخرهم في النمو اللغوي. وذكر الباحثون أن التوأم يتأخرون في نموهم اللغوي لمدة ستة أشهر

²⁹ انظر في هذه الموضوعات ما ذكره السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، القاهرة، دار الفكر العربي، ط4، 1975؛ والأشول، عادل عز الدين، علم النفس والنمو، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979؛ والعصيلي، عبد العزيز إبراهيم، علم اللغة النفسي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2006، ص303 حيث أشار إلى موضوع عيوب الكلام؛ وشاس، سهير سلامة، علم نفس اللغة، ص100؛ وفهمي، مصطفى، أمراض الكلام، القاهرة، دار مصر للطباعة، ط5، د. ت، ص50.

³⁰ انظر: شاس، سهير سلامة، علم نفس اللغة، ص100-101؛ وانظر:

Hurlock, E.1978. **Child Deveelopment**. 6th ed., New York: McGraw Hill International Book Company.

إلى سنة، قياساً إلى الأطفال العاديين، ويختفي هذا التأخر عند الالتحاق بالمدرسة، ولوحظ أن الطفل التوأم يقلد شقيقه التوأم، كما يقلد أطفال الملاحى بعضهم بعضاً، ولذلك يتأخر النمو اللغوي عن المستوى العادي للأطفال في سنهم، ومن أسباب تأخرهم ارتباطهم ببعضهم بعضاً مما يجعل لغتهم مضطربة، وقد يكون هذا التقارب والتعاطف سبباً من أسباب تأخرهم اللغوي.³¹

- **الولادة المتقاربة:** إن الطفل الذي يولد بعد شقيقه الأول أو شقيقته الأولى بعام أو نصف عام سوف يواجه مشكلة في النمو اللغوي، من حيث إن نموهم اللغوي سوف يتأخر؛ لأنهم اعتادوا أن يتفاهموا فيما بينهم بلغة غير مفهومة للكبار، وأحياناً إذا كان الفرق بين الأول والثاني عامان فإن الأول يسبق الثاني في النمو اللغوي؛ لأن الأول اكتسب اللغة من الوالدين دون أن يكون هناك عامل آخر يتفاعل معه ويؤثر فيه.³²

أثر العوامل البيئية والاجتماعية في النمو اللغوي

للبيئة أثر في نمو الطفل اللغوي، ولا سيما في المجال الثقافي والاجتماعي، حيث يكتسب الطفل اللغة بسبب عوامل، ومنها:

- **المستوى الاقتصادي والاجتماعي:** حيث تؤكد الدراسات أن ثمة ارتباطاً بين غزارة المحصول اللغوي والمستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، فأطفال البيئات ذات المستويات الاجتماعية والمرتفعة أفضل أسرع وادق من أطفال البيئات ذات المستوى الاجتماعي الضعيف؛ لأنهم ينشؤون في بيئة مجهزة بوسائل الترفيه، وتفاعلهم مع المجتمع أوسع، وتتعامل أسرهم معهم بأسلوب يساعدهم على تكوين عادات لغوية صحيحة؛ حيث يشجعونهم على الكلام، ويوجهونهم نحو تعلم اللغة، على عكس الأطفال الذين ينشؤون في بيئات فقيرة يجدون فيها صعوبة في اكتساب اللغة ويتأخرون فيها عن أقرانهم.³³

- **تعدد اللغات:** يطلق على التعدد اللغوي الثنائية اللغوية، وهي تعني استخدام الفرد للغتين في آن واحد، أما تعدد اللغات فهو إجادة الفرد لأكثر من لغتين والقدرة على استخدامهما بالتناوب في

³¹ انظر: بهادر، سعدية محمد، علم نفس النمو، الكويت، دار البحوث العلمية، د. ت؛ وشاس، سهير سلامة، علم نفس اللغة، ص102.

³² انظر: الفقي، حامد عبد العزيز، دراسات في سيكولوجية النمو، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1977.

³³ انظر: شاس، سهير محمد، علم نفس اللغة، ص103؛ ومنصور، عبد المجيد، علم اللغة النفسي، ص150؛ وكرم الدين، ليلى أحمد،

اللغة عند الطفل: تطورها ومشكلاتها، ص22؛ و gesell, A and Lord, E. E. 1920. A Psychological Comparison of nursery School Children from Homes of low and High Economics

Status. **Journal. Gentet. Psycholigy**, 34, pp.339-366.

الاتصال اللغوي.³⁴ وتؤثر هذه اللغات التي يتعلمها الطفل في نموه اللغوي، حيث أكدت الدراسات أن تعليم الطفل لغتين في آن واحد تربكه وتؤخر نموه في اللغة، وأكدت أيضا أن الأطفال في أسر تتكلم لغتين يكون مفرداتهم اللغوية أقل من الأطفال الذين تتكلم أسرهم لغة واحدة، وكذلك يواجه هؤلاء الأطفال صعوبات في تعلم اللغة، ومفاهيمها ولا سيما عند تعلم لغة أجنبية؛³⁵ ولذلك اختلف اللغويون وعلماء النفس والاجتماعيون في المدة التي ينبغي أن يدرس فيها الطفل اللغة الأجنبية، فمنهم من قال بأن تدرس جنبا إلى جنب مع لغته الأم؛ لأنه ليس هناك تأثير في لغة الطفل، وهناك من قال إن تعليم الطفل لغة أجنبية إلى جانب لغته الأم شيء إيجابي لأنه يساهم في بناء شخصية الطفل، وهناك اتجاه ثالث يرى أن تعليم الطفل لغة أجنبية بجانب لغته الأم له تأثير سلبي في لغته الوطنية وفي شخصيته، ويرى أنه لا ينبغي تعليم الطفل اللغة الأجنبية إلا بعد أن يتقن الطفل لغته الأم اتقاناً تاماً، ويكون ذلك بعد سن الثانية عشرة.³⁶

- **التدريب الخاص:** ويقصد ذلك تدريب الطفل وتعرضه للقصص أو الشعر أو مناقشة الصور أو الخروج في رحلات أو التفاهم الشفهي من الأسرة في المحادثة، ووجدت أن الأطفال الذين خضعوا لذلك تفوق النمو اللغوي لديهم أكثر من الذين لم يخضعوا لذلك، ويؤدي التفاهم الشفهي دوراً مهماً في النمو اللغوي سواء أكان في البيت أم المدرسة.³⁷

³⁴ انظر: الخولي، محمد علي، الحياة مع لغتين، الرياض، جامعة الملك سعود، ط1، 1988، ص91؛ وطيمعة، رشدي أحمد، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، مكة المكرمة، د. ت، ص79؛ وكرم الدين، ليلي أحمد، اللغة عند الطفل: تطورها ومشكلاتها، ص45.

³⁵ انظر: سهير محمد، علم نفس اللغة، ص106؛ وكونجر، جون، وآخرون، سيكولوجية الطفولة والشخصية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1970، و

³⁶ يعتبر عالم اللغة الإنجليزي مايكل وست (M. West) من أول المناهضين لتعليم اللغات الأجنبية في سن مبكرة، يليه من العالم العربي عبد العزيز القوصي، مدير مركز اليونيسكو للتربية في بيروت خلال الخمسينيات الذي طالب بإلغاء اللغة الأجنبية من مناهج المرحلة الابتدائية في الدول العربية. وكان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى إلغائها فعلاً في مصر بعد ثورة يوليو 1952م، كما ساند الرأي العربي الكبير ساطع الحصري. انظر: المطوع، نجاة عبدالعزيز، تأثير اللغات الأجنبية على اللغة الأم، قسم المناهج وطرق التدريس. موقع إلكتروني: <http://www.acmls.org/MedicalArabization/10thIssue/mj1064>؛ وانظر: سهير محمد، علم نفس اللغة، ص105-107، وقد أشارت - كما الباحثة نجاة عبدالعزيز - إلى أن دائرة المعارف الدولية للتربية (1985)، فصلت في آراء المؤيدين والمعارضين لتعليم اللغة الأجنبية للطفل في سن مبكرة.

³⁷ أجرى العالم دو DOWE دراسة على مجموعة من الأطفال وجد فيها لأن المجموعة التي تدرت على سماع القصص مناقشة الصور أو الخروج في رحلات لمدة ثلاثة شهور قد تفوقت على المجموعة التي لم تلق مثل هذه التدريبات في النمو اللغوي. انظر:

- **الحيط الأسري:** للأسرة دور كبير في نمو لغة الطفل؛ حيث تقوم الأم بتشجيع الطفل على إصدار الأصوات وإعادة ما يسمع أو نطق بعض الكلمات، وعند غياب الأم يفقد الطفل موهبة الكلام، وكذك لك للعلاقة المضطربة بين الطفل والأم يؤدي إلى اضطرابات في الكلام، وعند مقارنة مستوى المفردات لدى أطفال المؤسسات ولدى الطفل الذي نشأ في أسرة سليمة، أن ثمة تأخرا في نمو أطفال المؤسسات يقدر حوالى ستة أشهر كما ذكرت الدراسات. وهناك عوامل تؤثر في لغة الطفل ونموها كالحب والعطف والتواصل الاجتماعي، وأسلوب تنشئة الوالدين للطفل، والحكايات التي تحكيها الأم للطفل ما بين 2-6 سنوات، وتشجيع الأسرة للطفل على المهارات اللغوية. وهناك عوامل ترثر في نمو اللغوي من الحيط الاسري كالزام الطفل على الكلام بشكل تسلطي، وإجباره على التحدث بأسلوب معين.³⁸
- **المستوى التعليمي للأسرة:** أجر بعض الباحثين دراسة تثبت أن مستوى تعليم الاسرة يؤثر في النمو اللغوي للطفل؛ حيث يكتسب أطفالهم كلمات كثيرة وعادات لغوية أفضل من أبناء الوالدين ذوي المستوى التعليمي المنخفض، وهذا يكون إذا كان مستوى الذكاء لدى الطفلين المنتمين إلى هاتين الأسرتين متساويا.³⁹
- **عدد الأطفال في الأسرة وترتيب الطفل في الميلاد:** حيث تعد عاتان النقطتان عاملان مؤثران في نمو لغة الطفل، فالطفل الوحيد في الاسرة يكون نمو اللغوي أسرع وأحسن من الطفل الذي يعيش بين عدد من الأطفال في الاسرة الواحدة، ويتم ذلك إذا كان احتكاك الطفل بالراشدين وتفاعله معهم أكثر. ووهناك دراسة لأحد الباحثين تين أن ترتيب الطفل دال الأسرة يؤثر في نمو اللغوي عند دخول المدرسة، وغذا كانت الولادة متقاربة فإن ذيك يعوق النمو اللغوي لدى الطفل الأول غذا كانت الندة بينه وبين الثاني سنة إلى سنة ونصف.⁴⁰

سهير محمد، علم نفس اللغة، ص107، وقد ذكرت دراسة ماجستير لفوقية حسن عبد الحميد، أثر القصص على بعض جوانب النمو اللغوي لدى طفل ما قبل المدرسة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، —1983، تبين فيها أثر القصص في بعض النمو اللغوي لدى الطفل وغيرها من الدراسات؛ ودراسة: طعيمة، رشدي وآخرون، المفاهيم اللغوية عند الأطفال: أسسها، مهاراتها، تدريسها، تقويمها، الأردن، عمان، دار المسيرة للنشر، ط1، 2007م، ص242-243.

³⁸ انظر: سبيحي، سرجيتو، التربية اللغوية للطفل، ترجمة: فوزي عيسى، وعبد الفتاح حسن، مراجعة وتقديم: كاميليا عبد الفتاح، القاهرة، دار الفكر، 1991م، ص91؛ وريشل، مارك، اكتساب اللغة، ترجمة كمال بكداش، ص93، حيث ذكر قصة الحوار بين الطفلة ليزا في الرابعة من العمر، وأمها من الطبقة المتوسطة، والحوار الذي دار بينهما، حيث تقدم الأم للطفلة نموذجاً لفظياً رائعا كما ذكر العالم وايت هذه المحاورة في كتابه: Wyatt, Gertud, L. 1969. **Language Learning and**

Communication dis- order in Children, New York, The Free Press.

³⁹ انظر: سهير محمد، علم نفس اللغة، ص109.

⁴⁰ انظر: عويدات، عبدالله أحمد، المفردات الشائعة لدى الأطفال الاردنيين، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، 1977؛ وما ذكرته

- وهناك عوامل أخرى مثل التشجيع والاختلاط بالآخرين، والعلاقة الاجتماعية بين الأطفال والعلاقة بين الوالدين، والالتحاق بدور الحضانة ورياض الأطفال والبيئة والحالة النفسية للطفل، وكل هذه تؤثر في النمو اللغوي للطفل من حيث: إن اختلاط البالغين يؤثر في لغته، وتنمو اللغة بدرجة أسرع في اكتساب المهارة اللغوية، والمشاركة في المصايف والمعسكرات والرحلات تساعد على النمو اللغوي، واستماع الطفل إلى لغة البالغ تساعد أكثر على النمو اللغوي، وعلاقة الوالدين فيما بينهما تساعد على أنماط لغوية تكتسب، فإذا عاش الطفل في بيئة هادئة ينشأ الطفل نشوءاً متزنًا، كذلك تؤدي خبرات الطفل التي اكتسبها في الحضانة إلى زيادة خبرته اللغوية، واكتسابه لمفردات جديدة.⁴¹

الأسس البيولوجية لاكتساب اللغة

- الجهاز العصبي وعلاقته باضطراب اللغة والكلام:

اهتم علماء البيولوجيا والفسولوجيا والأطباء بالبحث عن الظواهر البيولوجية والفسولوجية الخاصة بالقدرة الفطرية التي تمكن الإنسان من اكتساب اللغة. وقد أشار العالم لينبرج LENNEBERG في أبحاثه إلى وجود خصائص بيولوجية تمكن الإنسان من اكتساب اللغة، وهي: وجود علاقة بين اللغة التي يتحدث بها الإنسان والنواحي الفسيولوجية والتشريحية الخاصة بجسم الإنسان، والترتيب الزمني للنمو اللغوي بين الأطفال مهما اختلفت لغة الطفل، وصعوبة كبت اللغة أو وقف نموها، وعدم إمكانية تعليم اللغة البشرية لغير البشر؛ فتركز الدراسات الحديثة على محاولة الكشف عما إذا كانت جميع العمليات اللازمة للكلام في المنطقة اليسرى من المخ؟ أم أن بعضاً منها يمكن أن تقوم به المنطقة الأخرى؟⁴²

سهير محمد، علم نفس اللغة، ص110.

⁴¹ انظر عن أهمية الاختلاط بالآخرين، والعلاقة بين الوالدين، والالتحاق بدور الحضانة، والبيئة، والحالة النفسية ما ذكرته: شاس، سهير محمد، علم نفس اللغة، ص111 - ص115؛ و سبيني، سرجيتو، التربية اللغوية للطفل، ص73، ص101؛ و وريشل، مارك، اكتساب اللغة، ص109.

⁴² انظر:

Lenneberg, Eric. H. 1968. A Biological Perspective of language. In **Lenneberg (ed) Directions in the Study of New** ص111 - ص115؛ يوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص111 - ص115؛ و سبيني، سرجيتو، التربية اللغوية للطفل، ص73، ص101؛ و وريشل، مارك، اكتساب اللغة، ص109.

ومن الظواهر الفسيولوجية والتشريحية: العلاقة بين اللغة وتركيب جهاز السمع والنطق والدماغ ومراكز التنسيق بين حركات العضلات والحس والإدراك؛ أما الترتيب الزمني للنمو اللغوي فيقصد به البدء بالنطق عند الطفل في مراحل العمر بين جميع الأطفال مهما اختلفت لغتهم، وبدء تعلم اللغة عند الطفل على أساس تصنيف المفردات إلى مجموعات، وعدم حدوث تغيير في نمو الطفل اللغوي

ما ذكرناه يشير إلى الحقائق الآتية: قدرة الإنسان على التفاهم والاتصال بين جنسه، ليس لها ما يماثلها في سائر المخلوقات، وأن بعض أنواع السلوك البشري يمكن أن يكون وراثيا، ولا تزال البحوث جارية في تحديد العلاقة بين القدرة اللغوية والجينات، وأن القدرة على اكتساب اللغة هو تطوير بيولوجي لا علاقة له بالذكاء، وليس من الضروري أن يكون التأخر العقلي سببا وراء تعويق اكتساب اللغة، وأن هناك صفات بيولوجية عصبية خاصة بالإنسان تميزه عن غيره من المخلوقات، هي تكمن في سيطرة منطقتين في المخ على الجانب المعاكس لهما، وهي لا تتوافر في الطفل الذي يقل عمره عن سنتين، ويبدأ تكوينها من سن الثانية إلى الرابع عشرة، فإذا أصيبت المنطقة اليسرى من مخ الطفل بين هذين العمرين بخلل فإنه بإمكان القدرة اللغوية الانتقال إلى المنطقة الأخرى. أما إذا حدث ذلك بعد سن الرابع عشرة فإن القدرة اللغوية يمكن أن تتعطل كلياً أو جزئياً حسب شدة الإصابة؛ ولهذا فإن المنطقة اليسرى من المخ هي المسؤولة عن اللغة. أما قضية تركيز الكلام في المنطقة اليسرى من المخ، فهناك منطقة في الجزء الأيسر من المخ تقع أمام الأذن اليسرى مباشرة وعلى بعد قليل منها، وهي منطقة مهمة جدا بالنسبة إلى اللغة، وتسمى منطقة بروكا BROCA'S AREA نسبة إلى مكتشفها، وهناك منطقة أخرى تسمى منطقة فرينكة WERNICKE' AREA نسبة إلى مكتشفها، وهاتان المنطقتان لهما علاقة بالتخطيط للكلام وفهمه. وكذلك هناك منطقة أخرى تمتد في منتصف المخ تقريبا باتجاه راسي، وتسيطر على الحركات الجسمية الإرادية، ومنها المنطقة المختصة بالنطق بالكلام. أما المساحة الأكبر من مخ الإنسان فتسيطر على الحركات الإرادية لليدين والفم، حيث تستخدم اليدين في لغة الإشارات أو تؤدي حركات معينة تصحب الكلام الذي ينطق به الفم، وهذه المساحات في مخ الإنسان أكبر من تلك الموجودة في مخ الإنسان.⁴³

والمظاهر الأخرى التي تؤكد أن اللغة الخاصة بالبشر أساس اكتسابها يعود إلى عوامل فطرية بيولوجية، تتمثل في الآتي: جهاز التصويت واختلافه عن مثيله لدى الحيوان، وتطور القدرة اللغوية لدى الإنسان ومقارنتها بمظاهر السلوك الأخرى التي لها أساس بيولوجي، وأن الكلام أساس

بسبب حدوث تغييرات كبيرة في النمو الجسمي؛ وأما صعوبة كبت النطق أو وقف نموه بيولوجيا فقد ثبت أن قدرة الطفل على اكتساب اللغة من القوة والنمو والتطور، حيث وجد أن الذين فقدوا أبصارهم لهم قدرة على اكتساب اللغة كالأطفال الأسوياء، ما عدا بعض المفردات، وأن الأطفال الصم الذين يولدون بدون حاسة السمع تعترضهم صعوبة بالغة بالنسبة إلى نمو اللغة الصوتية، ويمكن تدريبهم على الكتابة، وبعض الدراسات تشير إلى أن هناك أسسا صوتية ونحوية ودلالية مشتركة بين جميع لغات العالم كما ذكر تشومسكي.

⁴³ انظر:

Berning, Virginia. W and Todd L. Richards. 2002. **Brain Literacy for Educators and Psychologists**. Academic Press, USA, P. 40.

بيولوجي لزم أن يكون هناك علاقة ما بين النمو اللغوي والنضج الفسيولوجي، وأن الأطفال في مرحلة مبكرة يقومون بإصدار أصوات وأنغام شبيهة بالكلام، وأنهم يكونون من الناحية الفسيولوجية مؤهلين تماماً للنطق بالجملة، ومع ذلك قيامهم بالكلام فعلاً لا يبدأ إلا بمضي مدة طويلة على هذه الرحلة. ومن ناحية أخرى فإن الأطفال الصم والبكم يكون في استطاعتهم أن يكتسبوا اللغة المكتوبة واللغة الإشارية.

من ناحية أخرى أكد لينبرج على وجود مرحلة حرجية لاكتساب اللغة، وهي مرحلة تماثل صغار الطيور؛ إذ إن الأوز على سبيل المثال التي تربي منعزلة لحظة الفقس تستجيب لأي شيء كبير تراه حتى ولو كان بشراً، كما لو كان أحد أبويها، وتتبعه أينما ذهب، أما في حالة اللغة البشرية فيتحدث لينبرج عن المرحلة الحرجية CRITICAL PERIOD HYPOTHESIS عودة اللغة مرة أخرى بعد فقدانها نتيجة الإصابة في الشق الأيسر، بمعنى أن الراشدين الذين لم تتحسن لغتهم مرة أخرى خلال خمسة شهور من الإصابة لا تعود مرة أخرى كما كانت من قبل.⁴⁴

الاضطراب اللغوي والتخلف العقلي

اكتساب اللغة شيء طبيعي ويحدث بسرعة كبيرة أثناء نمو الطفل، ولكن هناك بعض الأطفال لا ينمون اللغة حيب الإيقاع الطبيعي، أو يكتسبون اللغة بشكل مختلف عن الطفل العادي. ويعبر عن اضطرابات اللغة في المبادئ اللغوية النفسية بعبارات مختلفة، منها: المشكلات اللغوية وعيوب النطق ARTICULATION DISORDERS، وأمراض الكلام، واضطرابات الكلام SPEECH DISORDER. واختلف الباحثون في تصنيف هذه المشكلات، وتتخذ هذه الاضطرابات في الكلام أشكالاً عدة، منها:⁴⁵

1- تأخر الكلام: ويتضمن تأخر اللغة ومشكلات اللغة المنحرفة، ويكون ذلك عندما يتأخر الطفل وعمره أربع سنوات في التمكن من اللغة الأساسية مقارنة باقرانه الذين ليس لديهم تخلف

⁴⁴ وجد أن ابن خلدون قد فطن إلى الفرق بين التعلم والاكتساب للغة حيث يرى أن الاكتساب هو الذي يؤدي إلى حصول الملكة اللغوية، وليس التعلم الذي ينتج عن تعلم قوانين اللغة حيث يقول: وهذه الملكة كما تقدم تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك، التي استنبطها أهل صناعة البيان. فإن القوانين إنما تفيد علماً بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة في محلها. انظر: ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط4، 1978، ص562؛ وانظر ما ذكرناه أعلاه في: يوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص159-164؛ خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ط2، 1979، ص168 وما بعدها؛ وعبد الفتاح، نازك إبراهيم، مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي، ص198؛ وبراون، هـ. دوجلاس، مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ترجمة إبراهيم القعيد، وعبد الشمري، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1994، ص80.

⁴⁵ انظر: العصيلي، عبد العزيز إبراهيم، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2006م، ص303.

عقلي أو بلهاء أو معتوهون، ويحدث ذلك للطفل إما لأسباب وراثية أو صحية بعد ولادته.⁴⁶

2- التأتأة STUTTERING ويطلق عليها أحيانا لدى الكتاب العرب: التهتهة أو الفافأة أو الرتة أو اللجلجة، أو التلعثم؛ وهي عدم الطلاقة في سيولة الكلام بشكل ملفت للنظر، مما يعيق التحدث مع الآخرين، والتواصل معهم، حيث يكرر الطفل الكلام، ويردد حرفا أو مقطعا أو كلمة بشكل لا إرادي، مصحوبا باضطراب في النفس وحركات غريبة في اللسان تسبب له الحرج والارتباك والعزلة أحيانا أمام الآخرين.⁴⁷

3- اللجلجة STAMMERING: ⁴⁸ وهي احتباس الكلمة بين شفهي الطفل مضطربة بعد معاناة تتمثل في حركات ارتعاشية، وهي طبيعية من عمر 2 إلى 5 سنوات، وتعود أسبابها إلى الرعاية الزائدة غالبا أو الحرمان العاطفي، والشقاء العائلي وكثرة المخاوف والسخرية التي يتعرض لها الطفل.

ومن أشكالها:

- تكرار الحرف عدة مرات، مثال: كلمة (محمد) تنطق هكذا: م م م م م م محمد؛ حيث يكرر حرف الميم مرات ثم ينطق الكلمة.
- التوقف المفاجئ والطويل قبل نطق الحرف أو الكلمة ثم نطقها دفعة واحدة، مثال: ---- توقف ----- محمد.
- إطالة النطق بالحرف قبل نطق الذي يليه م ----- محمد.

4- الخنخنة RHINOLALIA: وهي نوع من النطق يصعب على المصاب بها نطق الأصوات أو ينطقها نطقا غير واضح، ولا سيما الأصوات الصامتة، إذ تخرج معظم هذه الأصوات من الأنف بغنة شديدة تشبه صوتي الميم والنون. وتصنف الخنخنة بحسب أسبابها إلى نوعين، وهما:

⁴⁶ انظر: السابق نفسه، ص265؛ وقاسم، أنس محمد، اللغة والتواصل لدى الأطفال، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2002م، ص221-ص222. مع ملاحظة أنه يمكن مساعدة الطفل للتحسن عن طريق توفير استشارة زائدة وفرص لغوية كافية، والتدريب والعلاج والاندماج مع أفراد المجتمع لإثراء بيئة الطفل اللغوية والكلامية.

⁴⁷ انظر: محمد، نزهة أمير، اضطرابات اللغة والنطق وسبل علاجها، ص8. موقع إلكتروني: www.gulfkids.com. ويكون هذا الاضطراب في الطفولة بين سنتين وأربع سنوات، وكثير من الأطفال الذين يُتأتون يشفون بنسبة 80% تلقائيا عندما يصلون من العمر ست سنوات، والتأتأة أكثر شيوعا لدى الأولاد منها لدى البنات. انظر ما ذكره في هذا: قاسم، أنس محمد، اللغة والتواصل لدى الأطفال، ص235. وتعالج هذه الحالات عبر العلاج الطبي، أو العلاج النفسي لتخفيف حالة القلق والصراع ومشاعر الخوف لدى المريض، وعلاج كلامي يتناول جوانب النطق والكلام الشاذ، والعلاج البيئي- الاجتماعي. انظر ما ذكره في هذا: الزراد، فيصل محمد خير، اللغة واضطرابات النطق والكلام، الرياض، دار المريخ، 1990م، ص198-ص169.

⁴⁸ انظر: محمد، نزهة أمير، اضطرابات اللغة والنطق وسبل علاجها، ص8. موقع إلكتروني سابق.

اتساعية بسبب اتساع الأنف، وانغلاقية بسبب ضيق فتحة الأنف.⁴⁹

5-اللغة LISPING: وتتمثل في إبدال بعض الأصوات إلى أصوات أخرى أو تحريف في نطقها، مثل كلمة (مدرسة) تنطق (مدرثة) أو كلمة (كذاب) تنطق (تذاب)، أو (راح) تنطق (لاح)، أو جاموسة تنطق (داموسة). ويستعمل الباحثون في مشكلات النطق مصطلحي (الثغة) و(الثائة) للدلالة على داء واحد.⁵⁰

6- احتباس الكلام (الأفازيا) APHASIA وهي مصطلح بوناني مكون من مقطعين A ويعني عدم أو خلو، و PHASIA ويعني كلام؛⁵¹ ولذلك ترجمت إلى احتباس الكلام. وهي مجموعة العيوب التي تتصل بفقد القدرة على التعبير بالكلام أو الكتابة، أو عدم القدرة على فهم معنى الكلمات المنطوق بها.⁵² وهناك بعض أشكال الأفازيا ينتج عن عملية نسيان، وقد تكون شكلا من أشكال فقدان الذاكرة AMNESIA ، ولذلك يصعب على المريض تذكر أو إيجاد الأسماء لبعض الأشياء والمرئيات.

بشكل عام يمكن إرجاع أسباب الاضطرابات الكلامية واختلافها حسب الحالات والأعمار والبيئات إلى أسباب عضوية واجتماعية وتربوية ونفسية ووراثية. أما علاجها فيتم عبر طرق ومنها: العلاج الجسمي والعلاج النفسي والعلاج الكلامي كتقليد الكلمات والاسترخاء الكلامي وتمارين الكلام الإيقاعي، وتدريب جهاز النطق والسمع عن طريق استخدام المسجلات الصوتية وتقوية عضلات النطق وتظليل الكلمات وأسلوب النمذجة، والعلاج البيئي.

⁴⁹ انظر: العصيلي، عبد العزيز إبراهيم، علم اللغة النفسي، ص 330 - 331.

⁵⁰ الثائة تدل على نطق الأصوات الصفيرية نطقا غير صفيري، وتحدث في مرحلة الطفولة المبكرة، ما بين 5 - 6 سنوات، وهي رحلة إبدال الأسنان، ولم تنتظم من حيث الحجم والقرب والبعد، وقد تصبح عادة نطقية يصعب علاجها؛ أما اللثغة فهي إبدال الراء لاما أو إبدال الجيم دالا، وتحدث بسبب انتماء الفرد إلى لهجة اجتماعية خاصة، فتؤثر في نطقه لأصوات اللغة الفصحى أو الرسمية. وهي مشهورة لدى ثنائيي اللغة حيث يصعب عليهم تمييز مواضع النطق بين لغة وأخرى. انظر: العصيلي، عبد العزيز إبراهيم، علم اللغة النفسي، ص 331.

⁵¹ انظر: الزرادر، فيصل محمد، اللغة واضطرابات النطق والكلام، ص 200.

⁵² انظر: يوسف، جمعة سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص 178.